

سياسة الملك الظاهر بيبرس (658-676هـ/1259-1277م) تجاه أميرا الحجاز

د. صفوان طه حسن
كلية التربية- جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : 2008/12/1 ؛ تاريخ قبول النشر : 2009/2/18

ملخص البحث :

تمتعت الحجاز (مكة والمدينة) ، بشبه استقلال ذاتي منذ انتهاء حكم الأيوبيين على مصر (648هـ/ 1250م) وعلى بلاد الشام سنة (658هـ/ 1259م) حتى عهد الملك الظاهر بيبرس (658-676هـ/ 1259-1277م) ونتيجة لانشغال الملك الظاهر عنها تمكن ملك اليمن من السيطرة عليها مدة من الزمن فكان ذلك سببا من أسباب الخلاف السياسي بين المماليك وملك اليمن .

اعتمد بيبرس مع أمراء الحجاز سياسة اللين والمداراة حينما والضغط السياسي والتهديد بالعمل العسكري حينما آخر ، كما انصب اهتمامه على الكعبة الشريفة والمسجد النبوي والهدف من ذلك تحقيق ما يأتي :

أولا. أداء واجبه أمام الله سبحانه والرعية ، بموجب التقليد الخلفي له بالاعتناء بالعتبات المقدسة وخاصة منها الحرمان الشريفان .

ثانيا. كان الاعتناء بتلك المدن مكسبا سياسيا اخذ كل السلاطين المسلمين التسابق للقيام به .

Al- Malik al-Zahir Baybar,s Policy Towards The Amirs of Hijaz (658-676A.H/1259-1277A.D)

Dr. Safwan Taha Hasan
College of Education- University of Mosul

Abstract:

The Hijaz district (Mecca and Madina) enjoyed a semindependent Status since the end of Ayyubid rule in Egypt and Bilad al- Sham in (648 A.H /1250A.D) ,and till the era of the Mamlukid Sultan al – Zahir Baybars (658-676A.H/1259-1277A.D).Sultan Baybars engaged in wars

with the Crusaders and Mongols during the first Years of his era . This enabled the King of Yemen to extend his domination on the district of Hijaz .

Sultan Baybars followed a policy of compromise towards the Amirs of Hijaz on one hand , and of political Pressure and threats of military action, on the other hand .He also focused his interest on the Sacred Kaaba in Mecca and the Prophet Mosque in Madina . He did so for two reasons , the first one was fulfilling his religious duty in accordance with the authorization given to him by the Abbasid Caliph in Cairo to take care of the sacred places in the Hijaz , especially the Kaaba and the Prophet Mosque . The second reason was to achieve political gains by so doing .

توطئة:

أحدث سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة (656هـ/1258م) إشكالا حول مرجعية حكم وتبعية الحجاز -حماية الحرمين الشريفين- لأنها (أي الخلافة العباسية) السند الشرعي لأميري الحجاز ، عند ذلك سارع أميرا مكة إلى تقديم البيعة إلى الحفصيين في تونس ، إذ أعلن أميرها، أبو عبد الله الحفصي ،⁽¹⁾ الخلافة الحفصية فيها سنة (657هـ/1259م) ولقب المستنصر بالله ،⁽²⁾ إلا أن إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة (659هـ/1261م) ،⁽³⁾ قطع الطريق على الحفصيين ، وجعل ولاء أمراء الحجاز للخليفة العباسي في القاهرة .

إن حالة عدم الاستقرار السياسي في المشرق الإسلامي التي سببتها الهجمة المغولية على البلاد الإسلامية وخوف العديد من ملوك وأمراء المسلمين من دخول القوات المغولية إلى بلادهم ، حجم دورهم السياسي في الحجاز ، ولما كانت مكة والمدينة تتمتعان بشبه استقلال ذاتي ، كان تأثير سلاطين مصر وملوك اليمن عليها واضحا ، إذ خضعت الحجاز للأيوبيين في مصر طوال حكمهم لليمن منذ سنة (569-630هـ/ 1173-1232م) ،⁽⁴⁾ وعندما استقلت اليمن عن الأيوبيين سنة (626هـ/1228م) ، وأعلن الملك المنصور عمر بن رسول (630-648هـ/1232-1250م) ، السلطنة فيها وابتدأ بذلك عهد الدولة الرسولية في اليمن⁽⁵⁾ ، وبسبب الموقع الجغرافي وقرب اليمن من الحجاز عزز بسط نفوذ ملوك اليمن عليها .⁽⁶⁾

لذلك عانت الحجاز من أطماع الملوك والسلاطين ، وغالبا ما كان الهدف منه الدعاية لهم في أثناء مواسم الحج ، فهو خير وسيلة لعرض مكارم السلاطين والتفاخر بها أمام الحجاج

الذين قدموا من بلدان الإسلام المختلفة ، وقد ينقل الحجاج أخبار تلك الأعمال إلى بلادهم ، وهو الغرض المنشود من تلك الدعاية .

التنافس المملوكي اليمني للسيطرة على الحجاز :

أراد ملك اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول (648-694هـ/ 1250-1293م) ، السيطرة على مكة ، فجهز حملة إلى الحجاز بقيادة مبارز الدين علي بن حسين بن برطاس ، ومعه ثلاث مئة فارس في شعبان سنة (652هـ/1254م) ، ووصلوا إلى مكة نهاية شهر ذي القعدة فتحالف أمير مكة مع أمير المدينة لصد قوات ملك اليمن ، ودارت معركة كانت الغلبة فيها لجيش ملك اليمن ، وأصبح ابن برطاس نائبا لملك اليمن في مكة ، واندحرت قوات الحجاز .

لكن أمراء المدينة ومكة لم يرضوا بتولي ابن برطاس مكة خوفا من أطماعه لإخضاع باقي الحجاز ، فتربصوا له ، وحققوا نصرا عليه في سنة (653هـ/1255م) ، إذ باغته وتمكنوا من أسره بالمعركة لكنه فدى نفسه بخمسة آلاف دينار وهرب إلى اليمن (7).

ثم غير ملك اليمن تعامله مع أمراء مكة والمدينة منذ سنة (659هـ/1261م) ، عندما دخل مكة لأداء فريضة الحج ، إذ قام بأعمال جليلة من إعطاء الأموال و الهدايا و الهبات ، كما اعتنى بالحجاج ضيوف البيت الحرام ، وشمل ذلك حتى الحجاج المصريين ، وكسا الكعبة المشرفة فكان أول من قام بذلك من الملوك بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، لكن أمير مكة هربا خوفا من بطشه بهما اثر أحداث سنة (653هـ/1255م) . (8)

وقد أرسل إلى المدينة المنورة الصناع والبنائين إلى المسجد النبوي لغرض تجديد ما احترق منه في سنة (654هـ/1256م) ، (9) كما أرسل إليه منبرا في سنة (656هـ/1258م) ، خطب عليه حتى سنة (666هـ/1267م) ، (10) كل تلك الأعمال كان لملك اليمن قدم سبق فيها ، كما دفع أعطيات وأموال سنوية لأمراء مكة والمدينة .

ويبدو أن ملك اليمن أراد أن يطيب خاطر أمير مكة وأن يستميلهما إليه فعمد إلى إرسال أموال سنوية لهما كما أرسل كسوة الكعبة سنة (661هـ/1263م) ، وكذلك فعل سنة (666هـ/1267م) ، وزاد فيها أموالا لتزيين باب الكعبة بصفائح من فضة مطلية بالذهب زنتها ستون رطلا . (11)

كل تلك الأمور حملت أمير الحجاز على موالة ملك اليمن طمعا وخوفا منه ، وعندما تمكن السلطان الظاهر بيبرس من فرض سيطرته على الحجاز كان يخطب له ثم يذكر اسم ملك اليمن بعده وعند تعليق الكسوة السنوية كانت تعلق كسوة اليمن بعد رحيل الحجيج المصري مراعاة لسلطان مصر . (12)

أثارت تلك الأعمال حفيظة الظاهر بيبرس الذي تولى حماية الحجاز بتقليد من الخليفة العباسي ، إذ لقب بخادم الحرمين الشريفين ،⁽¹³⁾ فاخذ يرسل الكسوة السنوية إلى الكعبة و الضريح النبوي الشريف منذ سنة (661هـ/1263م) ،⁽¹⁴⁾ وأرسل البنائين والصناع والعدد والأموال والميرة إلى المسجد النبوي مرارا منذ سنة (659-669هـ/1261-1270م)،⁽¹⁵⁾ وأرسل منبرا يخطب عليه في المسجد النبوي بدلا من منبر اليمن في سنة (666هـ/1267م)⁽¹⁶⁾ ، وعندما دخل المسجد النبوي في أثناء أدائه فريضة الحج رسم بعمل مقصورة حول الضريح الشريف وأنجز في سنة (668هـ/1269م) وبعثه إلى المدينة في تلك السنة⁽¹⁷⁾ .

كل تلك الأعمال أسفرت عن ترجيح كفة السلطان الظاهر بيبرس على ملك اليمن وتؤكد ذلك عند قيامه بأداء فريضة الحج سنة (667هـ/1268م) ، والتي كانت موجهة بالأساس للحد من تسلط ملك اليمن على الحجاز ، وفي مضمون رسالة وجهها إليه يذكره فيها بأنه قريب من الحجاز يستطيع دخولها بأي وقت ، وأنه أولى بحماية الحرمين الشريفين .⁽¹⁸⁾

لكن واقع الحال على غير ما ذكره الظاهر بيبرس في إظهاره سرعة قدومه لا يعني سرعة جنده أيضا ، إذ يتعسر عليه القيام بحملة على الحجاز ومن ثم قمع ملك اليمن ، وهو في مواجهه شبه دائمة مع المغول و الصليبيين ، وذلك ما أدركه ملك اليمن وأمرء الحجاز ، فعلى الرغم من علو همته العسكرية وتضييقه على ملك اليمن ، إلا أن ذلك لا يعني سيطرته على الحجاز أو مقدرته على ذلك بأي حال من الأحوال .⁽¹⁹⁾

سياسة السلطان الظاهر بيبرس تجاه أميرا مكة :-

أعلن أميرا مكة في سنة (657هـ/1259م) ولاءهما والخطبة للخليفة الحفصي الذي تلقب بالمستنصر بالله ، فأرسلا له البيعة . كما مر بنا . خوفا من تسلط ملك اليمن عليهما وطموحات الملك الظاهر في ضم الحجاز لممتلكاته ، لكن سرعان ما دان أميرا مكة لملك اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول ، عندما دخلها حاجا في سنة (659هـ/1261م) ،⁽²⁰⁾ يذكر أن أميرى هربا إلى وادي مر خوفا منه لمدة عشرة أيام وهي فترة مكوثه فيها ، فأجزل العطاء لأهلها ، وغسل الكعبة وطيبها ثم كساها من الداخل والخارج فخطب له فيها .⁽²¹⁾

لكن أميرا مكة خطبا للملك الظاهر في سنة (662هـ/1264م) كما أن مفتاح الكعبة مع قفلها أرسله الملك الظاهر بيبرس إليها وعين نائبا له فيها ،⁽²²⁾ وقد بين ذلك ابن عبد الظاهر بقوله " وفي صفر من هذه السنة (662هـ) وصل الحجاج مخبرين بأن خطب للسلطان بمكة وتسلم الصدر جمال الدين حسين بن الموصلية كاتب الإنشاء الشريف المتوجه إلى مكة نائبا بها مفتاح البيت الشريف وقفله بالقفل المسير صحبتته ... " ⁽²³⁾ ومنذ ذلك الحين خطب للملك

الظاهر ثم لملك اليمن،⁽²⁴⁾ ويبدو أن إحياء الخلافة العباسية في القاهرة كانت سببا في ذلك من خلال تقليد الخليفة العباسي لسلطان مصر أمور حماية الحرمين وخدمتهما.⁽²⁵⁾

حاول ملك اليمن عدم إثارة السلطان بيبرس فأقر إجراءاته في انه رفع منبر ملك اليمن من المسجد النبوي، والخطبة لبيبرس في مكة والمدينة، فأرسل الأخير إلى الحجاز (مكة والمدينة) من يقوم بجباية أموال الزكاة في سنة (664هـ/1266م)،⁽²⁶⁾ فدفعت أهل الحجاز الزكاة لسلطان مصر مما يؤكد سطوة الملك الظاهر عليهم.

أتاح النزاع السياسي - العسكري بين أميري مكة، أبي نمي،⁽²⁷⁾ مع عمه إدريس بن قتادة،⁽²⁸⁾ في سنة (666هـ/1267م)، فرصة ثمينة في إحكام سيطرت الملك الظاهر بيبرس عليها، على اثر الخطاب الذي أرسله أبو نمي لبيبرس الذي جاء في مضمونه " انه لما شاهد من عمه الشريف بهاء الدين إدريس بن قتادة ميلا إلى صاحب اليمن وتحاملا على دولة السلطان أخرجه من مكة وانفرد بالإمرة وخطب للسلطان وسأله مرسوما إلى أمير المدينة [المنورة] أن لا ينجدونه عليه ".⁽²⁹⁾

ومن النص أعلاه تتجلى ثلاثة أمور رئيسة مهمة تتعلق بالعلاقات السياسية بين أطراف الصراع؛

الأول: أوضح التنافس الكبير بين أمير المدينة وأمير مكة، وبين سلطان مصر وملك اليمن.

أما الأمر الثاني: التماس أبي نمي من السلطان الظاهر بيبرس مرسوما سلطانيا (تقليد) لحكم مكة وهو إقرار واضح في أن مرجعية حكم مكة بيد السلطان الملك الظاهر. والثالث: هو طلب أمير مكة من الظاهر بيبرس منع أمراء المدينة من مساندة عمه، وفيه توكيد لسطوة بيبرس على أمراء المدينة.

ونتيجة لذلك ينصاح إدريس بن قتادة عم أبي نمي لطاعة الملك الظاهر ويصطلح مع ابن أخيه، فيفرض بيبرس عليهم شروطا لإبقائهم أمراء على مكة:

1. عدم اخذ الأموال (المكوس) من الحجاج.
2. لا يمنع احد من دخول مكة في ليل أو نهار.
3. أن لا يظلم احد من الحجاج و التجار وان لا يؤذوهم في داخل الحرم المكي.
4. أن يخطب له وتضرب السكة باسمه.⁽³⁰⁾

وقد قبل أمير مكة ذلك لقاء مبلغ سنوي قدره عشرون ألف درهم،⁽³¹⁾ الواقع إن قبول أميري مكة بتلك الشروط إقرار منهم بقوة الملك الظاهر. وما إن حلت سنة (667هـ/1268م) عزم الملك الظاهر على أداء فريضة الحج، لكي يرى بنفسه ما قام به الشريفان في مكة في تنفيذ الشروط التي اشترطها عليهم، فضلا عن اطلاعه على الطريق البري الذي سوف يسلكه

إن اضطر للقيام بحملة عسكرية على الحجاز واليمن ، إذ وصل مكة يوم التروية وأدى مناسك الحج والتقى بأمرائها وأكرمهما وأحسن إليهما ، وزاد في الأموال السنوية التي خصصها لهما (32).

أكد الملك الظاهر سيطرته على مكة وبيان ذلك من خلال إذعان أميرها تعيين نائب لبيرس في مكة ، ومن مكة بعث إلى ملك اليمن رسالة ملؤها التهديد والوعيد ويبدو انه جاء رداً على انتقاص لمكانة بيبرس كونه مملوك منها ؛ " فان كنت ملكا فاخرج والتقت التتار " (33).

وسرعان ما اخرج أميراً مكة نائب السلطان في سنة (668هـ/1269م) ، (34) إذ لم يفيا بوعودهما للملك الظاهر ، كما نشب نزاع بين الأميرين سنة (669هـ/1270م) أسفر عن مقتل إدريس بن قتادة على يد ابن أخيه أبي نمي ، إذ كانت الغلبة في البداية لإدريس الذي طرد ابن أخيه لأكثر من ستين يوماً من مكة ، ثم جمع أبو نمي حوله العربان وقاتل معه أهل ينبع فتمكن من طعن إدريس وأسقطه على الأرض وحز رأسه ، (35) وقد سكتت المصادر التاريخية عن ذكر أي رد فعل من قبل السلطان ، إذ لم يحرك ساكناً لفض ذلك النزاع سوى رسالة تهديد أرسلها لأبي نمي أوردتها الفاسي في أحداث سنة (675هـ/1276م) ، ونصها :

" من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسين النسيب أبي نمي محمد بن أبي اسعد : ... أما بعد ؛ فان الحسنة في نفسها حسنة وهي في بيت النبوة أحسن و السيئة في نفسها سيئة وهي في بيت النبوة أوحش وقد بلغنا عنك أيها السيد انك آويت المجرم واستحللت دم المحرم ومن يهنه الله فما له من مكرم فان لم تقف عند حدك أغمدنا فيك سيف جدك و السلام " (36)

ومن النص نجد أن بيبرس يكيل التهم للأمير مكة في استحلاله للدم في مكة ، ويبدو أن النص لا يتفق مع أحداث سنة (675هـ) بل مع أحداث نزاع الأميرين أبي نمي وعمه سنة (669هـ) ، ذلك أن أحداث سنة (675هـ) شهدت نزاعاً بين أمير مكة وأمير المدينة جماز بن شيحة ، (37) الذي كانت علاقته سيئة على الدوام مع الظاهر بيبرس ، فلا يعقل أن يهدد بيبرس أمير مكة من اجل نصرته أمير المدينة .

وقد شعر أبو نمي بحرج موقفه تجاه السلطان فإظهر الولاء له من خلال جوابه للمراسلة

فأجاب :

" من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر أما بعد :

فان المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه فان تأخذ فيدك الأقوى وان تعفوا [الأصح تعف]

فهو اقرب للتعوى و السلام " (38).

وفيه إقرار منه بتبعيته لسلطان مصر ، كما بين صحة ما نسبته بيبرس ضده ، وحقيقة الأمر أن انشغال بيبرس بحروبه ضد الصليبيين ، وتصديه لتحرشات المغول ، أدت إلى تخليه

عن توجيه حملة عسكرية كبيرة لإخضاع الحجاز واليمن اقتداءً بما كان في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي،⁽³⁹⁾ لكنه اكتفى برسائل التهديد والوعيد ضد أميري مكة .

سياسته تجاه أمراء المدينة :

لم تكن العلاقات السياسية بين أمراء المدينة والظاهر بيبرس بأحسن حال ، نسبة للعلاقة مع أميري مكة ، فعلى الرغم من الاهتمام البالغ الذي أبداه بيبرس بالحرم النبوي ، فإنه لم يرض عن أمراء المدينة طوال فترة حكمه خاصة الأمير جماز بن شيحة الحسيني الذي كان على نزاع مع ابن أخيه مالك بن منيف بن شيحة ، فتارة يطرد ابن أخيه وتارة ابن أخيه يطرده ، وهكذا كان الحال لا يخلو من تدخل الأطراف الخارجية كملك اليمن وغيرهم .

كان أول اتصال مع أمير المدينة في سنة (662هـ / 1264م) ، عندما استعرض الملك الظاهر بيبرس قواته أمام سفراء المغول ، وطلب فرسا ذكرت له في الحجاز ، وكانت من الخيول الأصيلة ، فجد أمير المدينة في جلبها له وأرسلها مع ابنه ، وقد أشار ابن عبد الظاهر إلى ذلك بقوله : " ولقد سير في طلب فرس من هذه الخيول من صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فحضر ولد صاحب المدينة وصحبته عدة خيول من جملتها هذا الفرس " ، وأوضح ابن عبد الظاهر المشقة التي لقيها أمير المدينة حتى حصل على الفرس إكراماً للملك الظاهر .⁽⁴⁰⁾

أما عن التدخل سياسي فقد أرسل الملك الظاهر بيبرس في سنة (664هـ/1266م) إلى أمير المدينة لإرسال الزكاة إلى القاهرة كونها مقر الخلافة ، وأمير المدينة احد أتباعها ، لكن أمير المدينة امتنع عن إعطاء الزكاة لمبعوث الملك الظاهر ، فاستعان الأخير بعربان بني خالد لمحاربة أمير المدينة ، وعندها أذعن للدفع ،⁽⁴¹⁾ وعندما استنجد الأمير مالك بن منيف وهو ابن أخ أمير المدينة بالسلطان بيبرس سنة (666هـ/1267م) ،⁽⁴²⁾ وطلب أن ينصفه من ظلم عمه أمير المدينة جماز وأنه اغتصب حق مالك في الإمارة بعد أبيه وعندما تحقق بيبرس من الأمر أرسل إلى جماز يطلب منه إعادة حقوق مالك إليه، وان يقسم معه الإمارة، فوافق جماز على ذلك ، لكن جماز لم يمتثل لأوامر الملك الظاهر بيبرس ،⁽⁴³⁾ فعمد مالك بن منيف إلى جمع العربان وأتباعه مستعيناً بالأموال التي أعطاها له الظاهر بيبرس ، وقام بدهم المدينة وجماز خارجها ، واستولى على دار جماز وخربها ونهبها أتباعه من العربان ، وحاول جماز أن يستعين بأمير مكة كي يطرد مالك من المدينة لكن الأمر لم يتم له ، فانسحب من أطراف المدينة وهنا بدأت المفاوضات بين الطرفين ، فتنازل مالك عن إمارة المدينة لعمه جماز وأصبح جماز أميراً عليها حتى وفاته سنة (704هـ / 1304م) .⁽⁴⁴⁾

ومن جراء ذلك بيبرس تسلم أموال الزكاة من قاضي المدينة ، الذي أتى بصحبة الأمير ناصر الدين بن محيي الدين الحاجب ، وقد استقلها وكانت 180 جملا وعشرة آلاف درهم،⁽⁴⁵⁾ كما أمر بحبسه مدة من الزمن ثم أطلقه ،⁽⁴⁶⁾ لما له من العلم والصلاح ، إذ تمكن الأخير من إقناع بيبرس وكسب وده ، فأرسل معه احد خواصه جمال الدين محسن الصالحي ومعه من الأموال والميرة والسكر والميرة ما قيمته 200 ألف درهم ،⁽⁴⁷⁾ وعند دخول الملك الظاهر المدينة في العشر الأخيرة من ذي القعدة سنة (667هـ/1268م) ، حاجا مكث ثلاثة أيام قبل ذهابه إلى مكة ، وتصدق على الناس في تلك الأيام ، وهرب جماز من لقائه فقال بيبرس في ذلك " لو كان جماز يستحق القتل ما قتلته ، لأنه في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم " ،⁽⁴⁸⁾ وعند فراغه من أداء فريضة الحج دخل المدينة ومكث فيها وتصدق ، وزاد في الأموال والعطايا والهبات لأميري مكة وكل من قابله من الأمراء عدا الأمير جماز الذي لم يقابل الملك الظاهر .⁽⁴⁹⁾

وأرسل الملك الظاهر درابزيناً ،⁽⁵⁰⁾ للحجرة الشريفة سنة (668هـ / 1269م) بعد أن اطلع عليه أثناء عودته من حجه فقدح في خلده أن يصنع درابزينا يحفها من الناس ، فأخذ قياس الدرابزين بيده ، وكان الدرابزين في غاية الأناقة والجمال والواقع عد ذلك في ميزان حسناته .⁽⁵¹⁾

على أية حال فقد كانت العلاقة مع أمراء المدينة أكثر ضعفا وتوترا مما هي عليه مع أميري مكة على الرغم من محاولات السلطان بيبرس بسط نفوذه عليها ولو اسما وتوسل في سبيل تحقيق ذلك بكل الوسائل المتاحة له ، ويبدو أن لملك اليمن تأثيرا اكبر على أمير المدينة، فضلا عن اختلاف وتقطع المصلح الشخصية بين الظاهر بيبرس وجماز أمير المدينة .

الخلاصة :

مما تقدم يتضح لنا أن الحجاز (مكة - المدينة) قد تمتعت بشبه استقلال ذاتي منذ انتهاء حكم الأيوبيين على مصر وبلاد الشام حتى تولى الملك الظاهر بيبرس الحكم ، ونتيجة لانشغال الملك الظاهر عنها تمكن ملك اليمن من السيطرة عليها مدة من الزمن فكان ذلك سببا من أسباب الخلاف السياسي بين المماليك واليمن .

اعتمد بيبرس مع أميرا الحجاز بين اللين والمدارة حينما والضغط السياسي والتهديد بالعمل العسكري حينما آخر ، كما انصب اهتمامه بالكعبة الشريفة والمسجد النبوي الهدف من ذلك تحقيق ما يأتي :

أولا: أداء واجبه أمام الله سبحانه والرعية ، بموجب التقليد الخلفي له بالاعتناء بالاعتبات المقدسة وخاصة منها الحرمين الشريفين ،

وثانيا : كان الاعتناء بتلك المدن مكسبا سياسيا اخذ كل سلاطين الإسلام التسابق للقيام به .ولا يخفى علينا إن ذلك كان يعطي دفعة معنوية كبيرة للجيش المنضوية تحت راية بيبرس في جهاده ضد المغول والصليبيين ، كونه يهتم بمقدسات المسلمين ويزود عنها ويمنع أمراءها من التجاوز على المسلمين فيها .

الهوامش:

- (1) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني من ملوك الدولة الحفصية في تونس ولد (625هـ/1227م) ، عرف بالشجاعة والإقدام وتعرضت تونس في عهده لحملة لويس التاسع، للمزيد ينظر عبد الحي بن احمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير ، 1406هـ) ، ج5/349.
- (2) احمد بن حسين بن قنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، (تونس ، دار التونسية للنشر ، 1968م) ص138-140؛ ينظر أيضا محمد بن إبراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، (تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966م) ، ص37.
- (3) محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (المنسوب له) ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، (الرياض ، مطابع القوات المسلحة ، 1976م) ، ص99-101.
- (4) ريتشارد مورتيل ، الأحوال السياسية و الاقتصادية بمكة في عصر المماليك ، (الرياض ، جامعة الملك سعود ، 1985م) ، ص30-52؛ احمد السباعي ، تاريخ مكة ، (مكة المكرمة ، دار مكة ، 1979م) ، ص165-174.
- (5) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر ...) ، (بيروت ، دار إحياء التراث ، د/ت) ج6/280.
- (6) احمد السباعي ، المرجع السابق ، ، ص165-174.
- (7) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1998م) ، ج4/237-240.
- (8) علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق ك محمد بسيوني عسل (القاهرة ، مطبعة الهلال ، 1911م) ، ج1/134-135.
- (9) تقي الدين محمد بن احمد الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، (القاهرة عيسى البابي الحلبي ، 1908) ج1/124.
- (10) نور الدين علي بن احمد السمهودي ، وفاء الوفا ، (القاهرة ، مطبعة الآداب والموبد ، 1908م) ، ج1/437-438.
- (11) تقي الدين احمد بن علي المقرئ ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والسلاطين والملوك ، اعتناء : جمال الدين الشيال ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، 1955م) ص84-85.
- (12) الفاسي ، العقد الثمين في أخبار البلد الأمين ، تحقيق : محمد الطيب ، (القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، د/ت) ج489.
- (13) عبد الله بن ابيك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق : اولخ هارمان (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي ، 1971م) ج8/110؛ ينظر أيضا حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1957م) ص268.
- (14) المقرئ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة (القاهرة ، 1957م) ج1/ق2/440.

- (15) بدر الدين محمود العيني ، عقد الجمان في ذكر أهل هذا الزمان ، حوادث سنة 648-664هـ ، تحقيق : محمد محمد أمين ، (القاهرة ، دار إحياء التراث ، 1987م) ص365.
- (16) السهمودي ، المصدر السابق ، ج1/288-289.
- (17) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، (حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية ، 1954م) ج1/2/434.
- (18) ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، ص 356.
- (19) شافع بن علي ، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، (الرياض ، مطابع القوات المسلحة ، 1976م) ص86.
- (20) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج1/134.
- (21) المقرئزي ، الذهب المسبوك ، ص84-85؛ مورتيل ، المرجع السابق ، ص53.
- (22) شافع ، المصدر السابق ، ص70؛ المقرئزي ، الذهب المسبوك ، ص84.
- (23) ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، 183.
- (24) الفاسي ، العقد ، ج7/489؛ مورتيل ، المرجع السابق ، ص54.
- (25) ابن أبيك ، المصدر السابق ، ج8/110.
- (26) ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، ص276.
- (27) هو محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ولي أمرة مكة نحو خمسين سنة (652-701هـ/1254-1301م)، انفرد بإمرة مكة منذ سنة (669-701هـ/1271-1301م) ، عن ترجمته ينظر شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (حيدر آباد الدكن ، مطبعة مؤسسة المعارف العثمانية ، 1932م)، ج3/422-423؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج1/458-471.
- (28) هو إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، ولي إمرة مكة شريكا لأبي نمي سبعة عشر سنة (652-669هـ/1254-1271م)، قتله أبو نمي سنة (669هـ/1271م)، ينظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج3/271-279؛ ابن تغري بري ، المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين (القاهرة ، لجنة إحياء التراث ، 1984م) ج2/285-286.
- (29) ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، 351-353.
- (30) الفاسي ، العقد الثمين ، ج1/459؛ المقرئزي ، السلوك ، ج1ق/2/579؛ السباعي ، المرجع السابق ، 174-175؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، 1963م) ص113.
- (31) ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، ص351؛ مورتيل ، المرجع السابق ، ص56.
- (32) بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 1993م) ، ص41؛ محمد جمال الدين سرور ، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ، (القاهرة ، دار الكتب ، 1938م) ، ص122-123.
- (33) المقرئزي ، الذهب المسبوك ، ص92.
- (34) الفاسي ، العقد الثمين ، ج7/172.
- (35) اليونيني ، المصدر السابق ، ج2/444؛ الكتبي ، المصدر السابق ، ج20/400.

- (36)العقد الثمين ،ج1/465.
- (37) هو جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهني الحسيني ، عن ترجمته ينظر ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج3/436-437؛ ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ج2/75.
- (38)الفاسي ، العقد الثمين ، ج1/465.
- (39) مورتييل ، المرجع السابق ، ص58.
- (40) ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ،212.
- (41) المقرئزي ، السلوك ، ج1/ق2/558.
- (42) اليونيني ، المصدر السابق ، ج2/386.
- (43) المصدر نفسه ، ج2/409.
- (44) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج3/284-285.
- (45) احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق : محمد عبد الهادي شعيرة ، (القاهرة ، مركز تحقيق التراث ، 1990م) ، ج30/149.
- (46)ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، ص352.
- (47)المقرئزي ، الذهب المسبوك ، ص89.
- (48)اليونيني ، المصدر السابق ، ج2/409.
- (49)ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ، ص356؛ المقرئزي ، الذهب ، ص90.
- (50) الدرايزين : هو قوائم منتظمة يعلوها متكأ وقد تكون من الجص أو من الخشب ، وقد تسمى دَرَبَزِين و دريزين و درابزون ؛ للمزيد ينظر ، عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، (بيروت ، المطبعة العربية ، 1988م) ص184.
- (51) خليل بن أبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، (بيروت ، دار إحياء التراث ، 2000م) ج10/213.